بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ ربِّ العالمين، والصلاة والسلامُ على من أرسله اللهُ رحمةً للعالمين، وعلى آله وصَحْبه وإخوانِه إلى يوم الدِّين، أمّا بعد:

فهذا ردّ مختصر، غنيّ عن قراءته من تبصّر، رداً على ما انتشر من كلام حمودة المُغترّ، في طعنه لريحانة بلادنا، وعلامّة المغرب شيخنا وحبيبنا وتاج رؤوسنا، مفخرة السلفيين، ومرجع الفقهاء والأصوليين، منارة في زمن الظلمة، وإمام ترفع به الهمّة، داع إلى الكتاب والسنة، عُرف عند الصغير والكبير، والقريب والبعيد بالمثابرة والتحقيق، والشرح والتعليق، فنونه بلغت الآفاق، والإنتفاع بعلومه من أعظم الأرزاق، رُزقها من كان لفضل الشيخ عارفا، وحُرمها من كان راجفا.

ولن أخط السّواد في البياض لأبيّن مناقب الشيخ، فمناقبه لا يحصرها المجلّد والمجلّدان فضلا على أن يكون مقالا في الردّ على صعفوق مغرور، متذبذب مقهور، مضى وقته فهو مغمور.

ورد في صوتيتك عدة طوامٍّ واتهامات تتلخص فيما يلي:

١- نفيك بأنَّك كنت من أتباع فالح الحربي.

٢- الحكم على المشايخ في فتنة فالح وأنت لم تبلغ العشرين سنة.

٣- تعارضك بقولك للشيخ عبد الله الغديان أنّ الجزائر ليس فيها علماء -وهو قول فالح الحربي- مع أنَّك تجزم للشيخ أنَّك لم تكن تطعن فيه.

٤- ازدراء علّامة المغرب العربي وإنتقاصه والتطاول عليه.

٥- تخريجك المسألة الفقهية في المعاملات تخريجاً باطلا.

٦- الاندفاع في الفتوى بحضرة الكبار.

٧- اتهام الشيخ بأنه يقصي المتفوقين من طلبة العلم ويقرّب من يحفظ فتاويه.

٨- دعوى أنَّ الشيخ يُكِنُّ لك حقدا.

٩- اتهام الشيخ الجليل بالكذب.

١٠- خَلُصت إلى أنّ الشيخ لا يصلح للريَّاسة.

أكتفي بها وقد ترفعت عن ذكر كثير من الأكاذيب والأراجيف.

فأول ما يُلحظ مخاطبة الشيخ الجليل "**بالرجل**" و"**قصته معي**" و"**مشكلتي معه**" وغيرها من الألفاظ التي تدلّ على قلّة أدبك إن خاطبت بها جاهلا في سنِّ الشيخ، فضلا أن تخاطب بها إمام السنة وحامل لواء السلفية في المغرب العربي.

ثمّ عرّجت وذكرت الأسئلة الدقيقة التي عجز الشيخ يوسف الدخيل عن الإجابة عنها، وطرت بها فرحا إلى الشيخ ربيع ليشهد لك الجميع بقوة ذكائك ويظهر لهم سعة إطلاعك، وقد أدبكّ الشيخ ربيع بقوله "**ما مستواك**"، وبين أن طريقتك في امتحان المشايخ وتعجيزهم لا تصلح لطلب العلم ثم أرشدك إلى الطريق الصحيح، وما ذاك إلا بما تفرّسه فيك من حب الظهور والشهرة الممقوتة، وقد سبقه إلى هذه الفراسة إمام الفقهاء شيخنا الجليل الشيخ فركوس حفظه الله.

والمستمع إليك يفهم منك أنَّك باحث متميّز ومشمّر في الجدّ والاجتهاد، وغاية الأسئلة التي طرت بها فرحا هي الخلاف في اشتراط اللقيّ عند البخاري ومسلم، والمسألة قد قتلت بحثا

فما أدري الوجه الذي أعجزت به الشيخ يوسف الدخيل، و لم يجد لك مخرجا إلا أن يحيلك إلى الشيخ ربيع وذلك حتى يتخلص من إزعاجك وإحراجك.

أفعلى مثل هذا عجبت يا مغرور؟؟، وتتكلّم في المنطق فتذكر السلمّ وقد جعله صاحبه لمن ليس له تصوّر على المنطق أصلا، فأقل شيئ إن كنت طالب علم أن تقرأ حاشيته المسماة بالاحمرار، وإن أردت المنطق فعليك بكتاب معيار العلم للغزالي، أو تهذيب المنطق والكلام للأصولي سعد التفتزاني أو المطلع شرح الاساغوجي لزكريا الأنصاري وكتاب الرسالة الشمسية في القواعد المنطقية للكاتبي وشرحها للرازي، ودرء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام، وأعجب العجب فرحك بأنك تدرس نثر الورود وتحسب أنك قد صرت أصولياّ بارعا فلو ذكرت الإحكام للآمدي أو المحصول للرازي أو غيرها من الأمهات حقّ لك التكلم بأنك تسير على درب الأصوليين.

في حين أن الشيخ قد شرح روضة الناظر لابن قدامة بسنوات وحضره المتميِّزون من طلبته ولعلَّك كنت في ذلك الوقت صبيًّا تلعب مع الأطفال، وحقَّق الشيخ كثيرا من المسائل الأصولية وأنت تدعي بعد كل هذه الجهود لؤما وتنكرا لأهل بلدك أنّ الجزائر ليس فيها علماء وتتبجّح بمثل هذه المتون التي وضعت للمبتدئين.

وقد سألت إخوني ممن كانوا بالمدينة وممن هم فيها من الطلبة السلفيين فما أحد ذكرك بالجد والاجتهاد، ولا عرفت بذلك.

وأتحداك أن تعطيني كتابا علميا أتممته من أوله إلى آخره مجازا فيه ، وآثارك تشهد عليك.

ووجود هذا الخلق في بعض الطلبة، دفع الشيخ أن يكتب نصيحة إليك وإلى أمثالك سمّاها بـــ "**نصيحة إلى مغرور**"ولو تمعنّت فيها وعملت بها ما وقعت في الحفرة التي أنت فيها.

وأما نقلك لكلام الشيخ الغديان أو الشيخ أحمد الشنقيطي الذي فهمت منه بأنهم اعترفوا بحقك وعرفوا قدرك وتفرّسوا فيك أنَّك ستكون يوما إمام الجزائر وعالمها، وأنّك فهمت

ماعجزوا عن فهمه، وحرصوا على إرشادك لتثمر يوما ما، فما أجد لك كلاما إلا أن أقول لك أفق من نومك لتشرع في طلب العلم والأدب فإنّ العمر قصير والأماني خدّاعات.

وردكّ هذه المسألة إلى فضل العلماء وحسن تعاملهم مع طلابهم، فما عليك إن كنت طالب حق إلّا أن ترجع إلا آثار علماء السلف وتعاملهم مع المغرورين وإبعادهم عن مجالسهم، لما في ذلك من الضرر على الدين، وبهذا تعرف أنّ الشيخ فركوس قد رحمك وأحسن إليك وأنهّ تعامل معك في أدنى مرتبة يعامل بها العلماء طالبا مغرورا.

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ: أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يُقَالُ لَهُ: صَبِيغُ بْنُ عَسَلٍ، قَدِمَ الْمَدِينَةَ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ كُتُبٌ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَبَعَثَ إِلَيْهِ وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ عَرَاجِينَ النَّخْلِ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ جَلَسَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ صَبِيغٌ فَقَالَ عُمَرُ: وَأَنَا عَبْدُ اللَّهِ عُمَرُ، ثُمَّ أَهْوَى إِلَيْهِ فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ بِتِلْكَ الْعَرَاجِينِ، فَمَا زَالَ يَضْرِبُهُ حَتَّى شَجَّهُ، فَجَعَلَ الدَّمُ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَدْ وَاللَّهِ ذَهَبَ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ فِي رَأْسِي"(١)

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَنْ يَسْأَلُ عَنْ تَفْسِيرِ {وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا} [الذاريات: ٢] اسْتَحَقَّ الضَّرْبَ، وَالتَّنْكِيلَ بِهِ وَالْهِجْرَةَ قِيلَ لَهُ: لَمْ يَكُنْ ضَرْبُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَهُ بِسَبَبِ عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَلَكِنْ لَمَّا تَأَدَّى إِلَى عُمَرَ مَا كَانَ يَسْأَلُ عَنْهُ مِنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَرَاهُ عَلِمَ أَنَّهُ مَفْتُونٌ، قَدْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِمَا لَا يَعُودُ عَلَيْهِ نَفْعُهُ، وَعَلِمَ أَنَّ اشْتِغَالَهُ بِطَلَبِ عِلْمِ الْوَاجِبَاتِ مِنْ عِلْمِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ أَوْلَى بِهِ، وَتَطَلُّبُ عِلْمِ سُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْلَى بِهِ، فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ مُقْبِلٌ عَلَى مَا لَا يَنْفَعُهُ، سَأَلَ عُمَرُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُمَكِّنَهُ مِنْهُ، حَتَّى يُنَكِّلَ بِهِ، وَحَتَّى: يُحَذِّرَ غَيْرَهُ؛ لِأَنَّهُ رَاعٍ يَجِبُ عَلَيْهِ تَفَقُّدُ رَعِيَّتِهِ فِي هَذَا وَفِي

(١) انظر: أخرجه الدارمي برقم: ١٤٦، واللالكائي برقم: ١١٣٧-١١٣٨.

غَيْرِه، فَأَمْكَنَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ وَقَدْ قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَيَكُونُ أَقْوَامٌ يُجَادِلُونَكُمْ بِمُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ فَخُذُوهُمْ بِالسُّنَنِ، فَإِنَّ أَصْحَابَ السُّنَنِ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى.[1]

وعلى فرض صحة قولك وأنّ الشيخ قد جفاك فأين أنت يا مغرور من صبر الطلاب على مشايخهم إن أثبتنا أنك طالب علم.

فقد كان الأعمش ذات مرة وهو في مجلس التحديث –وكان يكره أن يجلس أحد إلى جواره– فجاء طالب علم جديد لا يعرف طريقة الأعمش، فجلس بجواره، والطلاب لا يستطيعون أن يقولوا للرجل: أبعد، لكن لو علم الأعمش أن الرجل قعد بجانبه سيفض المجلس؛ فسكتوا، فشعر به الأعمش ؛ فظل يبصق عليه حتى انتهى المجلس، يقول: حدثني فلان –ويبصق عليه – حتى انتهى المجلس ، والرجل ساكت خشية أن يقول شيئاً، فيقطع الأعمش المجلس.

وقال له رجل مرة: يا أبا محمد حديث كذا وكذا ما إسناده؟ فأخذ بحلقه ولزقه بالحائط وقال: هذا إسناده.

ومع هذا قد جاءه طلّاب الحديث من مشارق الأرض ومغاربها، و لم يعب عليه طلابه ذلك، بل صبروا عليه وتعلموا ورفعوا عن أنفسهم الجهل، وما زادهم ذلك إلّا عزّا.

وبهذا نعلم علم اليقين أنك لا لهدي السلف امتثلت ولا لمشايخ المدينة اقتديت، فما تعلمت السّمت من مشايخ الحجاز ولا الأدب، ما يدلّ على أنّ جلوسك عندهم كان يسيرا بقدر ما تتملّق عليهم بمسائل تجمعها ليلا وتطير إليهم بها صباحا.

وقد أحسن الشافعي رحمه الله إذ قال:

اصبر على مرّ الجفا من معلّم فانّ رسوب العلم في نفراته

من لم يذق مرّ التعلم ساعة تجرّع ذلّ الجهل طول حياته

ومن فاته التعليم وقت شبابه فكبرّ عليه أربعـــــا لوفاته

---

(١) انظر: الشريعة للآجري (٤٨٣/١)، طبعة دار الوطن.

وذات الفتى ولله بالعلم والتقى إذا لم يكونا لا اعتبار لذاته.

أمّا طلاب الشيخ المتقنين ذووا الهمّم العالية فالشيخ قد أعطاهم من العلوم ما فتح عليهم بها في البلاد وخارجها، فاخرج من جحرك لترى أثر ذلك ونفعه، ولم يكن الشيخ يوما ملزما لأحد إلا بالدليل وكم خالفه طلابه في مسائل فقهية وناقشها معهم بأدب.

وليس كما ذكرت أن الشيخ يقصي المتفوّقين ويقرب من يحفظ فتاويه، بل العكس من ذلك فما تعلمّنا من الشيخ إلا الحثّ على الإجتهاد والمساعدة في بيان الطريق الموصل إليه، ونبذ التقليد، واستفدنا من سماحته طريقة النظر في الأدلةّ و كيفية الاستنباط.

ثمّ العجب كلّ العجب إثباتك أنّ حضورك لحلقة الشيخ لم يتجاوزالخمس مرات، سولت لك نفسك بالحكم على الشيخ كيف يعامل طلابه، إذ ذاك لا يتأتىّ إلا لمن لازم الشيخ سنين عديدة، وشاهد مواقف متكررة، فتعيّن من خلال ذلك أنك صاحب هوى شنّ على الشيخ حرباَ إثر موقفٍ للشيخ فيك وقد صدق والله.

وذكرت المسألة الفقهية في المعاملات فزعمت أنك أوجدت تعارضا بين قول الشيخ في تحريم التعامل مع من مكسبه حرام والقاعدة الفقهية ، فاعلم أنّ حمل المسألة على أصل التعاون على الإثم والعدوان أقرب من حملها على القاعدة لأنّ النص يشملها قطعا، أمّا الاستدلال بالقواعد الفقهية فيما لم يكن نصا أو إجماعا فغاية القاعدة إلحاق الفرع وإدراجه من باب القياس وهذا يرجع إليه في حال إنعدام النص، والنص فيما ذكر الشيخ موجود وهو قوله تعالى "ولا تعاونوا على الإثم والعدوان"، ولا تكون قاعدة في ذاتها حجة للفروع وهي مستنبطة منها.

واعلم أنّ الأسلوب الذي يظهر من صوتيتك هو نفسه الأسلوب الذي سألت به الشيخ وهو التعالم وحب الظهور والانتقاص من قدر الشيخ، ودليل تعالمك وأنّ سؤالك لم يكن للتعلمّ بل

للتعالم، وذلك أنك لم تعمل بما أجابك الشيخ ونصحك به فلم تطّلع على الفتوى الموجودة بالموقع إذ لم يكن قصدك رفع تعارض وقع في ذهنك الصغير و لو رجعت لذكرت ذلك، ولكنّه العجب والغرور وحب الرياسة والظهور.

ثمّ ذكرت مسألة التشهّد وأنكرت على الشيخ اجتهاده، مع أنّ جميع العلماء ينصون على أنّ المسألة إجتهادية والشيخ أهل للاجتهاد بشهادة علماء الأمة الإسلامية قاطبة، وكما هو مقرر "لا إنكار في مسائل الاجتهاد"، فعجبتَ من هذا و لم تعجب من تأصيلك الذي لم ينص عليه العلماء من تقسيم التشهد إلى قولي وفعلي وأنّ الفعل قسيم للقول وله حكمه، وهذا لم يقل به أحد ولست أهلا للاجتهاد حتى تقسّم وتفصّل ولكنّه العجب والغرور.

وأكبر شهادة على نفسك بغرورك ويا ليتك طويتها و لم تروها ألا وهي مرورك بين يدي الشيخ في المدينة مرور المشتغل الجاد المجتهد الذي يعلم العالم ممن هو دونه فآثرت السلام لهذا على أن تشتغل بعلم هذا.

فاعلم أنّ الشيخ لم يذكّرك بذلك إلا إلتماسا منه أنك تبت ورجعت عن غيكّ وغرورك فأعطاك فرصة تخرج بها من الغرور الذي كنت تتخبطّ فيه، أمّا سلامك عليه لم يكن مُنتظراً له ولا مُحتاجا إليه، ومرورك عليه أوغرت به صدر شخص هو في ذهنك، معدومٌ في الواقع، والذي أضحكني وأبكاني كون الشيخ يكُنّ لك حقدا، فمن تكون ومن أين أتيت، وكن على يقين حتى تنام قرير العين أنّ عامة السلفيين قد أخرجوك من أذهانهم، فلا كلامك سمعوا ولا بك اشتغلوا، فضلا على أن يحقد عليك الشيخ، وأنت تعلم علم اليقين أنهّ لو لم يزكّك الشيخ لزهر –حفظه الله– ما علم أحد بوجودك.

ثمّ ذكرت مسألة دفاعك عن الشيخ ضد يوسف العنابي، وتعجبت كيف تعب الشيخ منك ومن أمثالك و لم يتعب من يوسف العنابي.

أولا: يوسف العنابي لم يحسب على السلفيين يوما فلهذا هو خارج عن محل التّراع.

ثانيا: أن دفاعك عن الشيخ لم تدفع به عن الشيخ شيئا وقد ثار لنصرة الشيخ كل السلفيين داخل البلد وخارجها.

ثالثا: أنّ ما ذكره الشيخ فركوس للشيخ لزهر من أنكّ دفعت عنه فتنة كادت تقع على فرض تصديقك فيه فهو محمول على شكر الشيخ لموقع التصفية والتربية لما تنشره دفاعا عن الشيخ في حين كان المخذّلة من جماعة الإصلاح فرحين بهذا الطعن، فالشكر لم يكن لك وإنما كان لمن كنت تحسب عليه وهو الشيخ لزهر حفظه الله، أمّا أنت فلا محلّ لك من الإعراب.

وأختم هذا بأعظم ما ورد في كلامك الخسيس، وأكبر ما جئت به من البهتان يا تعيس، رميك الشيخ بالكذب حين طردك ثمّ لّما راجعته أنكر ذلك فانحصر الاحتمال عندك أنهّ كذب، فيا لك من ماكر حقير، ما الذي يمنع من كون الشيخ نسي حينها وبعد مضيّ وقت تذكّر وهو وارد جدّا.

وقد يكون من وجه آخر أدباً من الشيخ في أنّ ما ذكره لصاحبك رُفع حكمه فهو كأنه لم يقله، وهذا أسلوب معروف عندنا في الجزائر العاصمة يقول لك أحدهم أعتذر عن الدّين الذي بيني وبينك، فتقول ليس بيني وبينك دين تريد بذلك إسقاطه وإبطاله، فاعرف لغة القوم ثمّ احكم.

وما الذي يحمل الشيخ على الكذب عليك وأنت ما جئت عنده إلا ابتغاء الرفعة بين جمعك، و تعلم علم اليقين أن الشيخ لو أراد أن يقصيك لكفته كلمة واحدة منه حفظه الله.

فهذا واضح بينّ أنّ الشيخ صادق فيما قال ولكنّ غباءك وتطاولك منعك من معرفة ورؤية الأمور بوضوح وحملها على وجهها الصحيح، وقد أحسن من قال:

ليس التطاول رافعا من جاهل وكذا التواضع لا يضرّ بعاق
لكن يزاد إذا تواضع رفعـــــة ثمّ التطاول ما له من حاصل.

وفي الأخير أنصحك نصيحة مشفق أن تنطلق من جديد في طلب العلم وأن تتصدر هذا المشروع الجلل بأن تُخرج من قلبك الغلّ والحسد الذي نشأت عليه وترعرعت فيه، لأن العلم النافع لم يجمعه الله لقلب حاسد أبدا .

كما أنصحك بأن تتعلّم الأدب مع العلماء والمشايخ، وأن تغترف آثار السلف في ذلك ومن أهم الكتب التي أنصحك بها:

١-آداب المجالسة وحمد اللسان لابن عبد البر المالكي.

٢- جامع بيان العلم وفضله له أيضا.

٣- أدب الإملاء والإستملاء للسمعاني.

٤- أخلاق العلماء للآجري.

٥-الجامع لآداب الراوي وأخلاق السامع للخطيب البغدادي.

٦-اقتضاء العلم العمل له أيضا.

٧- تقييد العلم له أيضا.

وغيرها كثير لكن معظم هذه الكتب تكبرك سناً، فنصيحتي التدرّج بأن تبدأ بكتاب آداب طالب العلم لمحمد سعيد رسلان فإنه سهل العبارة، سلس الترتيب فإن أتممته زدناك.

وبعدها تكون قد شرعت في طلب العلم، أمّا أن تأتي وتحكم على إمام جبل متفنّن بشهادة العلماء الكبار، فهذا ليس مترلك والموضع ليس موضعك.

ونحن في عصر يوم الجمعة أسأل الله تعالى أن يهديك للتوبة والرجوع إلى الحق وأن يلهمك رشدك ويردكّ إلى دينه ردّاً جميلاً أنت ومن معك.

والله الموفّق والهادي إلى سواء السبيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمّد وعلى آله وصحبه وإخوانه إلى يوم الدّين وسلّم تسليماً.

كتبه: أبو البراء يوسف أورابية

عصر الجمعة ٢٦صفر١٤٤١هـ

بالمدينة النبوية